الدراسات اللغوية في العصور القديمة

حرشاية بشير
طالب دكتوراه
الأستاذ المشرف: أحمد شكيب بكري
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة

ملخص:

في هذا المقال الموسوم " الدراسات اللغوية في العصور القديمة" أحاول الإحاطة ببعض الجهود التي قدمتها الشعوب القديمة والوسطى في مجال الدراسات اللغوية ، والتي كانت تمهيدا للدراسات التي جاءت بعدها، لأنه لا يمكن أن ننطلق من فراغ ، ولكل عصر دراساته وأبحاثه التي تختلف باختلاف الظروف سواء البشرية أو المادية، وحتى أثري بحثي حاولت الانطلاق من إشكالية مضمونها " هل قدمت هذه الدراسات القديمة دفعا للدراسات التي بعدها وصولا إلى الدراسات الحديثة الحالية" وللإجابة على هذه الإشكالية ،ألقيت نظرة على الدراسات اللغوية التي قامت بها الشعوب القديمة كالمصريين القدامى ، والسومريين ، وانتقلت إلى الهنود الذين كانت لهم دراسات قيّمة خاصة في علم الأصوات وبعدها عرّجت على دراسات اليونان والرومان إضافة إلى الدراسة اللغوية العربية القديم.

Résumé:

Dans cet article, intitulé «Études linguistiques dans l'Antiquité», j'essaie de prendre note de quelques-uns des efforts déployés par les peuples anciens et moyens dans le domaine des études linguistiques, prélude aux études qui suivent, car il ne peut sortir du vide. Des recherches

humaines ou matérielles et même archéologiques ont tenté de sortir du contenu problématique"Pour répondre à ce problème, j'ai jeté un coup d'œil sur les études linguistiques menées par des peuples anciens tels que les anciens Egyptiens et les Sumériens, et j'ai déménagé aux Indiens qui avaient des études précieuses en particulier dans la science des sons. Études de la Grèce et des Romains en plus de l'étude de la langue arabe ancienne.

تمهيد:

إن التفكير اللّغوي بدأ في التطور شيئا فشيئا على مرّ العصور، حتى أصبح على ما هو عليه في العصر الحديث، ولقد مهدّت لهذا الدراسات اللغوية القديمة التي توصّلت إليها الشعوب القديمة، كالمصريين والسومريين والهنود والإغريق والرومان والعرب، والمتتبع لتطور الفكر اللغوي يلاحظ أن هناك علاقة وطيدة بين القدماء والمعاصرين ، وأن هناك مسائل عالجها الأوائل بطريقة وصفية موضوعية واستفاد منها علماء اللغة في العصر الحديث، وظهور عدّة مدارس لسانية في أوروبا وأمريكا[1].

الدراسات اللغوية في العصور القديمة : لقد اهتمت الحضارات الشرقية اهتماما كبيرا وبالغ الأهمية باللغة حيث كانت بعض الأمم الشرقية قد طوّرت من عمرها آلاف السنين وقد مرّ نظام الكتابة بعدّة مراحل مختلفة ومن خلال هذا المقال سوف أعرض كيفية تطوّر الفكر اللغوي عبر العصور عند بعض الأمم القديمة[(2)] .

1/ المصريون القدامى : ممّا جاء في بعض المصادر أنه في القرن الخامس قبل الميلاد أن الملك المصري بسامتيشوس Besamtichaus حاول معرفة أقدم لغة على وجه الأرض فقرّر إجراء تجربة على صبيين

بعزلهما عن المجتمع منذ الولادة إلى الوقت الذي يبدآن فيه الكلام ، ومع مرور الزمن سمع الطفلان وهما يرددان كلمة " بيكوس " فأراد الملك وأتباعه معرفة نوع اللغة التي تنتمي إليها هذه الكلمة ، فاستخلصوا أن هذه اللغة هي اللغة الأولى التي عرفتها الإنسانية وهي : " الفريجية "وهي لغة قديمة تكلم بها الناس في آسيا الصغرى[3].

وعلماء اللسانيات يرجعون اللغة المصرية إلى الشعبة الأفرو آسيوية ، ويمتد تاريخها من 4000ق.م إلى القرن السابع الميلادي ، وبعد دخول المصريين في الإسلام فضّلوا لغة القرآن الكريم وهي العربية على لغتهم القديمة ، فأدى هذا إلى تقلّص استعمال اللغة المصرية،وهي لا تستعمل الآن سوى في المناسبات الدينية التي يقوم بها بعض النصارى في الحبشة، وأكدت الدراسات أن الكتابة المصرية القديمة تتشكّل من خطوط هيروغليفية ، وتستخدم الصور للتعبير عن الأفكار[4]، أما الدراسات اللغوية فكانت متعددة تماما، وحتى الوثائق الضرورية تبدو غير متوفرة في هذا الميدان حيث يقول جورج مونان George mounin:" إنه عند اطلاعنا على الأثريات المصرية ،فإننا لم نجد شيئا تحت عنوان مدرسة أو تعليم ، أو عمّا كان المصريون يعرفون عن لغتهم أو عمّا كانوا يدرسونه"[5].

وهذا ما أكده "مارسل كوهن" في قوله :" إن وفرة الآداب المصرية المحفوظة لم تكشف لنا عن وجود مؤلفات نحوية ، ولم نعثر إلى حد الآن عن نموذج واحد".[6]

2/ السومريون والأكاديون : السّومريون عمّروا جنوب أرض الرافدين قبل مجيء الأكاديين إليها وهو شعب مجهول الأصل وله بهذه الأرض حضارة زاهرة ولغة راقية ذات آداب وأسلوب خاص في الرّسم ذي الزوايا ولغتهم السومرية الآسيوية استعملت في العراق من4000 قبل الميلاد إلى

2000 قبل الميلاد وهي اللغة الأولى المدونة في العالم[7]، والخط الذي كانوا يستعملونه هو الخط المسماري وهو : عبارة عن صور ورموز معنوية تمثل أشياء وأفكارا، ويستعمل على نوعين من العلامات ، الأول : عبارة عن علامات تعبّر عن كلمات كاملة، وهي تمثّل صورا كالخطوط الهيروغليفية، وبعد استعمال الخط المسماري انقلب شكلها إلى خطوط لا علاقة بينها وبين الصور الأصلية التي تعبر عنها ، وسميت أصوات .

وعرف الخط المسماري انتشارا كبيرا بعد اتساع رقعة دولة بابل وآشور ، واستعملته قبائل عدّة منها : الفرس وأرمينيا وفلسطين، أمّا الأكاديون نسبة إلى المدينة التي كانوا يسكنونها ، والمسماة " كلدة كما يسميها الساميون، و"أكاد" كما يسميها السومريون، واللغة الأكادية لغة سامية شرقية بائدة استعملت في مناطق العراق بين القرن 28 ق.م والقرن الأول ق.م .

إضافة إلى دراسات قام بها السومريون في الصناعة المعجمية تمثلت في تصنيف العلامات البسيطة التي تنوب عن المفردات الأحادية التي تدل عليها بعض الرسومات منها : الكلام ، والفعل الكلامي والأصوات.كما أنهم عثروا على فهارس لأسماء المهن والأدوات، وظهور معاجم أحادية اللغة، ومعاجم ثنائية اللغة سومرية /أكادية .

كانت الكتابة الصوتية تقسم الكلمة إلى مقاطع ، وتعبّر عن كل مقطع برمز خاص ،مثال ذلك : صورة النجم ترمز إلى الكلمة الدال على السماء وهي أنا Ana، أو الدالة على الإله وهي دينجير DINJIR، أما طريقة الرسم الصوتي المقطعي فكانت علاماته ترمز أحيانا لمقاطع صوتية مجرّدة من الدلالة.

واستخدموا الرموز المعنوية نفسها ، وأطلقوها على المعاني نفسها ، التي كانت ترمز إليها السومرية وكانوا يقرءونها بمفردات لغتهم ، فمثلا : كلمة

النجم تدل على الإله والسماء ، ولكنهم يقرؤونها "سمو" SAMU ومعناها سماء في لغتهم.[8]

3/الهنود : كانت بداية تفكيرهم في المسائل اللغوية قبل الإغريق بمدة زمنية طويلة، وتوصلوا إلى نتائج تشبه إلى حد بعيد نتائج اللسانيات الحديثة[9] وخاصة في مجال علم الأصوات، ومن خصائص الدراسة اللغوية للهنود أنهم لم يعتمدوا على الأفكار الفلسفية والمنطقية في تحليلهم للبحوث المختلفة، كما هو الحال عند قدماء اليونان ، وإنما كانت الغاية من انشغالهم بالدراسة اللسانية حفظ تراثهم الديني[10]، وارتكزت الدراسات اللغوية الهندية على ثلاثة محاور أساسية متمثلة فيما يلي :

أ/ اللغة السنسكريتية :

وهو مصطلح يطلق على اللسان الهندي القديم ، كما كان ينطقه ويكتبه الكهنة القدماء[11]، فهم يعتقدون أن لغتهم السنسكريتية لغة مقدّسة ، وأن الإله قد خلقها لاستعمال الناس ، بل كانوا يعتقدون كذلك أنها هي اللغة المستعملة بين الآلهة ، وأطلق بعض اللغويين الهنود على لغتهم وصف " الموجودة بدون سبب وبدون سبق عدم"[12].

وقسّم بعض العلماء منهم شليجل Schleicher اللغات إلى قسمين رئيسيين :قسم رئيسي، وقسم جزئي ووضع اللغة السنسكريتية في القسم الأول[13]، كما أن هذه اللغة ماتت منذ مدّة طويلة، ولكن أعيد اكتشافها في أواخر القرن الثامن عشر على أيدي الدارسين الأوربيين[14].

فالملاحظ أن اكتشاف هذه اللغة أعطى دفعا جديدا في تطوّر علم اللغة، وهذا ما قاله" وايتني" whitney:" إنّ اكتشاف اللغة السنسكريتية قد خلق عصرا جديدا في علم اللغة"[15].

وأوّل حدث لغوي في القرن الثامن عشر هو اكتشاف العالم وليام جونز William jones 1786 للغة السنسكريتية وإبرازه العلاقة بينها وبين اللغة اليونانية واللاتينية حيث يقول : " إنّ اللغة السنسكريتية مهما كان قدمها بنية رائعة، أكمل من الإغريقية وأغنى من اللاتينية ، وهي تنم عن ثقافة أرقى من هاتين اللغتين لكنّها تتصل بها صلة وثيقة من القرابة سواء من ناحية جذور الأفعال ، أم من ناحية الصيغ النحوية ، حتى لا يمكننا أن نعزو هذه القرابة إلى مجرّد الصدفة ، ولا يسع أي لغوي بعد تفحّصه هذه اللغات الثلاث أن يعترف بأنها تتفرّع من أصل مشترك زال من الوجود"[16].

فاللغة السنسكريتية كانت لها نتائج قيمة وعظيمة في تطوّر الدراسات اللغوية التي جاءت بعدها ، حيث أدّت إلى معرفة أن هناك روابط مشتركة بين اللغات انطوت تحت عائلة واحدة سميت اللغات الهندو أروبية وقد تمت الترجمة إلى لغات أخرى مثل الفرنسية والألمانية والانجليزية[17].

ب/العالم بانيني Panini: هو إمام النحاة الهنود وأبرزهم على الإطلاق، ولكن هناك اختلاف في اسمه فأغلب الروايات تقول بأن اسمه هو: salaturia نسبة إلى المدينة التي عاش فيها salaturia ، التي تقع مكانها لاهور الآن[18] .

وقد ألّف عدّة كتب في اللغة و النحو، عرف عنه كتاب بعنوان : " dhanapatha"، جمع فيه قائمة بأصول الكلمات وجذورها ، وكتابا آخرا بعنوان : " ganaphata" أي قائمة الكلمات ، ويذكر أنّه ألّف كتابا رائعا بقي خالدا هو كتاب في النحو السنسكريتي المسمى : "ashtadhyay" ، وهو مقسّم إلى ثمانية أقسام وكل قسم مقسّم إلى أربعة فصول ، وترجمه الأستاذ "vasu"[19].

وتعدّ تحليلات بانيني الصوتية والصرفية التركيبية للغة السنسكريتية وصفا كاملا ودقيقا[20]، ومن المؤلفين الذين شرحوا مؤلفاته النحوي الهندي "باتنجالي Batingali في القرن الثاني قبل الميلاد ، ولقد حافظت هذه المؤلفات على اللغة السنسكريتية القديمة .

كما تمّ ترجمة أعمال بانيني لأوّل مرّة في أوربا على يد الباحث " بوتلينج" Bohtlingkومازالت هناك صعوبات في تفسير أعماله .

ج/**كتاب الفيدا** :أطلق هذا الاسم على أربعة كتب خاصّة بالعبادة ولذوي العقيدة البراهمية[(21)]، وهي كتب مقدسة في نظر الهنود من الوحي ، وهي أربعة أنواع :

- Rig vida
- Le seina vida
- Le yajin veda
- L'athawa veda

وكل هذه الكتب تسمى بالأدب الفيدي[22]، ويمكن تلخيص الجهود اللغوية التي قام بها الهنود فيما يلي :

1/ في مجال الأصوات : فلقد أعطوا للدراسة الصوتية أهمية بالغة بفضل نظرتهم العلمية الدقيقة والتي يمكن إجمالها فيما يلي :

- وصفوا الأصوات ، وعيّنوا مخارجها وأعضاء النطق ووصلوا إلى تحديد مواضعها تحديدا دقيقا[23].
- ميّزوا بين الأصوات المجهورة والمهموسة ، والسكنات والحركات ، والإمالة الأمامية والخلفية .

- وصفوا قوانين صوتية للقراءة الجيدة مثلما طبّقه القراء في الثقافة الإسلامية[24] ، وهذا راجع إلى التشابه الموجود بين المدرسة العربية المسلمة والمدرسة الهندية من جانبين هما :

الجانب الأول : الدافع للاشتغال بالدراسات اللسانية وهو الدافع الديني.

الجانب الثاني : الدراسات في علم الأصوات تعمقت فيها المدرستين تعمقا لم تشهده المدرسة اليونانية ولا حتى المدارس الحديثة إلا منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

- توصّلهم إلى معرفة أثر القفل في إنتاج الأصوات الانفجارية ، والفتح في إنتاج العلّة ، والتضييق في إنتاج الأصوات الاحتكاكية .

- تحدثوا عن كيفية تسرّب الهواء من التجويف الحنجري ، ودور الوترين الصوتيين .

- وضعوا قواعد دقيقة للنبر في لغتهم القديمة ، واعتبروه من خصائص العلل لا السواكن، كما أنهم تحدثوا عن المقاطع حديثا مفصلا وبشكل دقيق .

- وصفوا تغيّر الأصوات عند التقائها في الكلمات واستحدثوا مصطلحا لهذا التغيّر أسموه " sandhi" ومثال ذلك في كلمة " السنسكريتية " التي قلبت إلى " سمسكريتية " .

- تنبهوا إلى قضايا جوهرية خاصة بالصوت اللغوي ، والفرق بين الصوت من حيث هو ظاهرة فيزيائية عامة ، والصوت من حيث هو ظاهرة فيزيولوجية ، فأدركوه من الناحية الوظيفية والدلالية .

وما يمكن قوله في هذا العنصر "علم الأصوات " أنّ الهنود برعوا في هذا المجال وهذا ما أكده العالم وليام جونز William jones في قوله : " إن التصنيف الهندي للأصوات الكلامية كان تصنيفا مفصّلا ودقيقا ومبنيا

على الملاحظة والتجربة ، ولم يبلغ أحد ما بلغه هؤلاء سواء في أوربا أو غيرها قبل أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، بل إن كثير من الدراسات تؤكد أن أوربا هي التي تأثرت بالبحوث الصوتية الهندية التي قام بترجمتها بعض الباحثين الغربيين".[25]

- **2/ في علم النحو:** أعطوه هو الآخر عناية بالغة لأن في القديم وجدت عدّة مدارس نحوية ما يقارب اثنتي عشر مدرسة نحوية مختلفة وأكثر من ثلاثمائة مؤلف في النحو، والجهود النحوية للهنود تمثلت في
- قسّموا الكلام إلى فعل واسم وحرف .
- تقسيم الأفعال إلى عشرة أزمنة، وبعض هذه الأزمنة موجودة في العربية، مثل الماضي والحاضر والمستقبل .
- تقسيم الأسماء إلى ثلاثة أقسام : المفرد والمثنى والمذكر.

يذكر أنّ بانيني كان تقسيمه للكلمة في البداية ثنائيّا ، فهو لم يذكر إلاّ الفعل في الدائرة الأولى، وجعل

في الدائرة الثانية ما ليس بفعل كالأسماء والحروف ، ولعلّ الصفر اللغوي الذي تتمايز به الوحدات النحوية يأتي في مقدمة ما أبدعه بانيني للفكر اللساني عامة ، ولا تزال جهوده شاهدة له في الدراسات البنوية .

وهناك اثنان من بين كثير من أعلام الهنود جديران بأن يعطى لهم الاهتمام وهما : باتنجالي Batingali في القرن الثاني قبل الميلاد، وبهارترهاري Bhaterhari في القرن السابع قبل الميلاد، وكلاهما من المدرسة النحوية التي أنشأت نظرية تقرّ بوجود طبقة باطنة وثابتة لا تقبل التغيير تكمن وراء كل التنوّعات المميزة لنظام لغوي بعينه وعند تطبيقها على الأصوات تشير إلى مصطلح الصوتيم *الفونيم *بالمفهوم الحالي ،

ويعني القيمة الصوتية الثابتة الموصوفة في نظام لغوي معيّن ولها وظيفة العلامة الدالة على الاختلاف بين الكلمات والمعنى[26].

ما يمكن قوله في ختام هذا العنصر أننا ركّزنا الحديث عن النحوي الهندي بانيني نظرا للأهمية التي أعطيت له من الباحثين وشهادة بعض اللسانيين أمثال بلومفيلد Bloomfield، الذي قال عنه" إن نحو بانيني من أعظم الشواهد القديمة على تقدّم العقل البشري..." [27].

ويظهر تأثير الدراسات اللغوية عند الهنود في اللسانيات الحديثة في قول فاكي Vacu " إن عمل بانيني يمثل أول محاولة في تاريخ العالم لوصف اللغة وتحليلها بطريقة علمية، إن عمل بانيني لم يقوقه في معالجة موضوع دراسة اللغة بطريقة اقتصادية"[28].

4/اليونانيون : لقد بدت جهود اليونانيين اللغوية واضحة في نواحي التفكير الحضاري لأوروبي الوسيط والمعاصر، وكان الدرس اللساني عندهم على شكل حوارات فلسفية بين علمائهم، وقد لمسوا هذا الاختلاف بين الشعوب في التحدث بلغات مختلفة ، كما أنهم أدركوا الفوارق اللهجية بين أبناء المجتمع الواحد ، وهذا من خلال ما قام به مؤرخهم " هيرودوث " من خلال إيراده لكلمات أجنبية قام بدراستها ومناقشتها ، كما أنهم افتخروا بلغتهم وهذا ما يظهر في قول هيرودوث : ....إن المجتمع اليوناني بأكمله تربطه صلة الدم الواحد واللسان الواحد"[29] ، وأعطوا اهتماما كبيرا للغة اليونانية كما أنهم استنبطوا الأبجدية الإغريقية في السنة الألف الأولى قبل الميلاد وهي مناسبة للهجة الأتيكية .

المعرفة اللسانية في هذه الفترة كانت مقتصرة على معرفة الكتابة والخط كما تدل عليه كلمة " غراماتيكوسGramatikos التي معناها العارف

بالحروف فهما واستعمالا ، وظلّت هذه الفكرة ممتدة إلى عصر أرسطو كما استعملت مصطلحا في فترة لاحقة تدل على مهارة الكتابة والقراءة[30].

قام عدد من علماء اليونان بدراسة ظواهر لغوية نحوية وصرفية في اللغة الإغريقية القديمة ومن أشهر علمائهم :

بروتاغوراس Brotagauras: وهو من الأوائل الذين بدأوا التفكير في القضايا اللغوية في القرن الخامس ق.م وقيل أنه أول من قام بتمييز الأجناس الثلاثة في اللغة الإغريقية :المذكر والمؤنث والوسط ، وقسّم الجملة إلى أنواع حسب الوظائف الدلالية العامة للتراكيب النحوية مثل : الإثبات والأمر والسؤال والتمني[31].

أفلاطون Aflataune: هو الآخر كانت له دراسات متعددة ويعدّ أوّل من تحدث عن النحو الإغريقي وقواعده بطريقة منتظمة ومن أعماله :

- دراسة ظاهرة الاقتراض والتداخل اللغوي .
- بيانه لوجود أصل لعدد كبير من المفردات الإغريقية .
- قسّم الجملة إلى اسمية وفعلية وميّز بين الأفعال والأسماء .
- عدّ الأفعال والأسماء قسما واحدا وهذا التقسيم مبني على تصوّر عقلي منطقي، لأن أفلاطون يميل إلى الفلسفة .
- تميّز بمنهج في التعريف سمّاه التعريف عن طريق التقسيم ، بمعنى أنه عند تعريف أي شيء يتبع خطوات تقسيمية انطلاقا من الفرع وصولا إلى تعريف موضوعي ودقيق للشيء الأوّل الذي اختاره[32] .

أرسطو Arristo : هو تلميذ أفلاطون وقد خالفه في كثير من القضايا ، خاصّة نظرته إلى اللغة بأنها وليدة الاصطلاح والعرف والتقليد، فهو يرى أن كلّ شيء يتكوّن من جزئين هامين هما:

المادة والشكل ، وعنده الشكل أهم من المادة ، وهذه الفكرة أثّرت في دراساته النحوية ، فلم يدرس الظاهرة اللغوية دراسة وصفية موضوعية ، وأضاف في تقسيم الكلام الرابطة التي تشمل كلّ الكلمات التي تخرج عن نطاق الأفعال والأسماء .

-عوَض مصطلح الجنس بمصطلح المحايد أي الجنس الثالث .

-اكتشافه لصيغ الفعل المختلفة في اللغة الإغريقية .

-أكّد ارتباط الفعل بزمن حدوثه .

-مزج النحو بالمنطق .

-ركّز في تعريفاته على التعريف والتعليل في حقل اللغة[33] .

5/الرومان: الرومان ورثة الحضارة اليونانية، فقد كان اليونانيون أساتذتهم في الدراسات اللغوية، وقد ساروا على نهجهم بالاعتماد على الفلسفة والمنطق ،وتغليب الجوانب المعيارية ووضعوا نحوا للغة اللاتينية على غرار النحو اليوناني .

فاقتبسوا عن اليونانيين نظام كتابتهم ،حوالي القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد ،وبالتالي أصبحت اللغة اللاتينية لغتهم المستعملة في مختلف المجالات الإدارية ، والقانونية والتعليمية ،وأصبحت لغة الدّين والطبقة الراقية في المجتمع[34] ، وقد كان حكام الرومان يشجّعون كل من يقوم بترجمة أي مظهر من مظاهر التراث الإغريقي ويغدقونهم بالهدايا[35] ، ويدعّمونهم بالمال ،فكثرت الترجمة وعادت بفائدة كبيرة وكانت لها آثار على الأدب اللاّتيني.

ومن أشهر علمائهم فرجيل Vurgil وفارون Varron في القرن الأول ، وبريسيان Priscian في القرن السادس ودوناتوس في القرن الرابع ق.م، واشتهر دوناتوسDounatos بكتابه الأكاديمي " art miror" الذي استعمل

واعتمد عليه في المدارس حتى القرن السابع عشر الميلادي ، وقد قال عنه جورج مونان goerge Mounin " إنه غذّى القواعد الأوربية لعدّة قرون ، وكتب له أن يكون أول كتاب يطبع في فرنسا، عدّة مرّات من الطبعات"[36].

الملاحظ من هذا القول أن الحضارة الرومانية رغم تأثرها بالحضارة اليونانية إلاّ أنها ساهمت في تطوّر الدراسات اللغوية ، والدليل الكتب التي ألفت في هذا المجال ، ومنها هذا الكتاب الذي اعتمد عليه في القرن السابع عشر .

وما دام الرومان تأثروا باليونان فلم يعطوا اهتماما سوى للغة اليونانية ، ولقد أثر عن اليونان دراسات صوتية المأثورة عنهم في كتابات نحاتهم من أمثال: بريسيان Priscian ، وماوروس Marrous وترنتيانوس ، وكانت هذه الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن ، كما أنها اختلفت عن آراء الهنود والعرب [37].

ومن أشهر أعلامهم الذين كان لهم باع في الدراسات اللغوية :

- **شيشرون Cicero:** ولد سنة 106 ق.م من أهم أعماله :

- تطورت الخطابة على يديه وخاصة النظرية الرومانية في تركيب وبناء خطاباته المرتكزة على :
- البرهان والتعليل وإقامة الدليل .
- إثارة الإعجاب .
- التأثير وتحريك المشاعر .
- ميّز بين مستوى لغة العامة في اللاتينية واللغة العتيقة ، وهذا العمل أدى بـ" رويس Rouis " النحوي بتأليف كتاب يحتوي على ثلاثمائة كلمة يخطأ الناس في نطقها ،ووجود لهجات تختلف عن الفصحى[(38)].

- **كوتلين Quintilian:** له عدّة مؤلفات في علوم مختلفة منها النحو والأدب والتربية والبلاغة ، وكان له كتاب في التربية بعنوان " institutions oratoirs" ، يتكلم فيه عن فنون الكتابة وسنن الكلام وقواعده ويعالج فيه المسائل اللغوية والمقولات المنطقية ، وهي المسائل النحوية التي تحدث عنها : أقسام الكلام والنظام الفعلي ، والحالات في اللغة اللاتينية[39].
- **فارون Varron**: ولد في القرن الأول قبل الميلاد حوالي 116ق.م وتوفي في 27ق.م ، فهو علم من الأعلام الذي يتمتع بعقلية موسوعة مكّنته من هضم التراث الإغريقي الفكري والعلمي[40].

ومن جهوده اللغوية ما يلي :

- تناوله لقضايا نحوية منها علم التراكيب وعلم الصرف وعلم أصول الكلمات ، وهي موجودة في كتابه الذي يتكلم عن اللغة اللاتينية ودرس فيه عدة قضايا منها الاشتقاق في اللغة اللاتينية وصيغة الفعل ...إلخ .
- وضع نظاما رباعيا للتصريف بتصنيفه الكلمات إلى أربع فصائل :

–الكلمات ذات الحالات (الأسماء والصفات).

–الكلمات التي لها زمن (الأفعال).

–الكلمات التي لها حالات وأزمنة (أسماء الفاعل والمفعول).

–الكلمات التي لا تحمل زمنا ولا حالة الظروف[40].

- اعتنائه بظاهرة التوليد والاشتقاق اللغوي .
- رؤيته بأن اللغة تتكون من مجموعة متناهية من المفردات التي فرضت على الأشياء.
- **بريسيان Priscian:** هاجر إلى القسطنطينية بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع الميلادي ، ليتم دراساته العلمية ودراسة النحو اللاتيني ،كما تأثر بالفكر الإغريقي وله مؤلفات منها :

كتاب بعنوان : المقولات النحوية ، ويقع في عشرين كتابا ومازال هذا الكتاب مرجعا للباحثين إلى يومنا هذا ، ومن أعماله :

- خصّص أقساما للكلام ، ودرس الأصوات والصرف .
- خصص كتابين لعلم التراكيب[41].
- استحدث قسما سمّاه التعجب واستبعد اسم الفاعل من التقسيم .
- حدّد مفهوم الجملة على اعتبار الدلالة دون الاهتمام بالشكل ،حيث قال:" إنّ الجملة هي نظام للكلام ، يدلّ على معنى كامل"[42].

الدراسات اللغوية العربية القديمة

تمهيد:

اهتم عدد من الباحثين العرب بعلوم اللغة منذ بداية الحركة العلمية في إطار الدولة الإسلامية ، فكانت لهم جهود في مجالات الأصوات وبناء الكلمة والجملة والمفردات ، وكان المنشغلون بعلوم اللغة يصنفون إلى مجموعتين الأولى : تهتم ببنية اللغة ، والثانية تهتم بمفردات اللغة ودلالاتها ، الأولى سميت بالنحو أو علم العربية ، أما الثانية فأطلق عليها اسم " اللغة " أو علم اللغة أو فقه اللغة ، ولكل من هذه المصطلحات تاريخ مستقل، ووجدت محاولات لوصف علوم اللغة مجتمعة فسميت " علم اللسان "أو علوم اللسان العربي " أو علوم الأدب أو العلوم العربية .

نشأة الدراسة اللغوية العربية : لم يؤثر عن العرب أي نوع من الدراسات اللغوية قبل الإسلام[43]، ولهذا فهم متأخرون زمنيا عن كثير من الأمم ، مثل اليونان والرومان التي عرفت دراسات لغوية راسخة قبل الإسلام فكان اهتمامهم بالعلوم الشرعية وحين فرغوا منها اتجهوا إلى العلوم الأخرى .

يقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء معبرا عن الفكرة :" إنه منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوي، ويؤلفون في الفقه الإسلامي، والتفسير القرآني ، وبعد أن تمّ تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومن بينها اللغة والنحو"[44].

والدراسات اللغوية التي وجدت في القرن الأول الهجري، كانت مجرد محاولات وتأملات لدراسة اللغة وكان سببها العامل الإسلامي ، ومنها محاولة ابن عباس المتمثلة في جمع الألفاظ الغريبة في القرآن وشرحها تحت عنوان " غريب القرآن "، وكذا محاولة أبي الأسود الدؤلي لضبط المصحف بالشكل .

تاريخ العربية :

لقد اختلف الدارسون في تحديد تاريخ نشأة اللغة العربية فمنهم من يحدّدها بتاريخ أول نقش عثر عليه وهناك من يحددها بأوّل نص شعري جاهلي .ولكن لا يمكن معرفة نوع هذه العربية، هل هي الموجودة في النصوص الجاهلية، وذلك للظهور اللغوي والفكري الواسع الذي يفصل بين تلك وهذه[45] أو نوع آخر.

فاللغة العربية استخدمت في الجزيرة العربية قبل الإسلام مستخدمة في الشعر والخطب والأمثال استخداما موحّدا بين شعراء القبائل المختلفة وخطبائها، رغم الفروق اللغوية والخلافات اللهجية، وسبب ذلك هو طبيعة الشعر وقيود تفعيلاته وقوافيه، لذا بقيت لغة الشعر لغة فنية يقصدها معظم العرب قصدا[46].

والعرب في الجاهلية كانوا يعربون كلامهم رفعا ونصبا وجرا وجزما، وذلك بالسليقة التي فطروا عليها منذ نشأتهم في بيئة فصيحة سليمة البيان ،

يقول أبو بكر الزبيدي : " ولم تزل العرب في جاهليتها وصدر من إسلامها تبرع في نطقها بالسجية ، وتتكلم على السليقة حتى فتحت المدائن ، ومصرت الأمصار، ودوّنت الدواوين"[47] ويذهب إلى هذا الرأي ابن جني في كتابه الخصائص[48].

وحتى اللهجات أثرت في الجانب الصوتي من حيث الكلمات التي تنطقها القبائل العربية، فكل فرد ينطق بلسان قبيلته وقومه، ولسانه مطبوع على ذلك، كما أن لغة هذه القبائل كانت الفصحى سواء كان ذلك في خطبهم أو أمثالهم أو نصائحهم أومواعظهم ، وهذا ما يؤكده قول ابن الأثير: " فكان اللسان العربي عندهم صحيحا محروسا، لا يتداخله الخلل ولا يتطرق إليه الزلل، إلى أن فتحت الأمصار وخالط العرب غير جنسهم ... فاختلط الفرق ، وامتزجت الألسن"[49].

وهذا لا يعني أن لغتهم كانت عالية، فهي على حسب المقام، فهناك لغة الشعر والخطب والأمثال أي لغة الأدب ، وأخرى لغة المحادثة أو اللغة الدارجة، وهي تدخل في الكلام اليومي والتفاهم ، والتي تدور بينهم في اجتماعاتهم ومعاملاتهم، وما يتصل بها، لأن القصد في مثل هذه اللغة ليس البلاغة والبيان العالي ورقة الكلام وإنما الخصائص التي يهدف إليها الشعر والخطب وأمثالها[50].

وقد حرص العرب على إقامة الأسواق في شبه الجزيرة العربية ليشهدوا فيها منافع، وشاع في التاريخ العربي أن سوق " عكاظ " كان من أهم الأسواق العربية قبل الإسلام، حيث شهد حركة تجارية وثقافية ودينية ، إذا كانت هذه الأسواق مركز التقاء التجار والشعراء وغيرهم من العرب والعجم[51] .

ويرى كثير من علمائنا الأقدمين أن الفصاحة في عرب الجاهلية ليست على منزلة واحدة، فهناك تفاوت بينها فالقبائل التي تسكن في أواسط

الجزيرة العربية تعد فصحى القبائل، منها قبائل الحجاز، وكنانة وهذيل وعطفان وهوزان، وسليم، وطيء، وتميم، وأسد، وقيس، يقول الفارابي: " الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم، وأسد فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ، وعليهم اتكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين"[52].

اللحن

اختلف الدارسون في وقوع اللّحن في الجاهلية ، فهناك من يرى أنه وقع ، ومنهم من يرى غير ذلك ، ولكن الأغلبية اتفقوا على وقوع شيء قليل منه ، لأنهم يعدون اللّحن من الأمور التي تناقض الفصاحة ، ويعملون على توجيه هذا اللّحن فيسمونه لغة شاذة أو نادرة ، وقد ظهر كثيرا في لغات القبائل التي كانت تسكن في أطراف الجزيرة العربية[53].

وكان المقصود من اللّحن ممّا نقل أبو عبيد عن أبي زيد وغيره بمعنى: لحن الرجل يلحن لحنا، إذا تكلّم بلغته ولحنت له لحنا، إذا قلت له قولا لا يفقهه عنك ويخفى على غيره ، ولحنه عنّي لحنا أي فهمه، ولحن الرجل إذا أخطأ في الإعراب[54].

ويحدد ظهور اللّحن بحدود الإسلام أو بعده بقليل يقول أبو بكر الزبيدي: "فاختلط العربي بالنبطي، والتقى الحجازي بالفارسي، ودخل الدين أخلاط الأمم، وسواقط البلدان فوقع الخلل في الكلام ، وبدأ اللحن في السنة العوام"[55].

كما وردت أخبار تشير أن اللحن وقع في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذكر أنه مرّ على قوم يتدربون على الرمي، فاستقبح رميهم فقالوا له :" إنّا قوم متعلمين " وعرف اللحن في الكتابة والرسائل

وفي كتاب أبي موسى الأشعري، إذ كتب كاتبه " من أبو موسى إلى الخليفة الثاني عمر... فردّ عمر الكتاب ووقّع في أسفله اقسم عليك إلاّ ما قنعت كاتبك سوطا ، فلما جاء إلى كاتبه وسأل عن خطئه فيه قيل " هو ما جاء في عنوانه، فأصلح عنوانه ،وأرسله إلى الخليفة عمر فقبله"[56].

كان يقصد العنوان " من أبو موسى " والأصح " من أبي موسى " ومن هذا النص ندرك أن العرب يحاولون دائما معرفة الخطأ، ويصحّحونه بمجرد معرفته ، وبدأ اللّحن ينتشر وينتقل إلى أطراف الجزيرة العربية وخاصة مواطن ضعف الألسنة العربية ،وهذا بعد دخول الأعاجم في الإسلام، واستقرارهم في المدن الإسلامية وخاصة البصرة ويذكر أن أول لحن ظهر بالأمصار قولهم : " حيٌّ على الصلاة " و "هذه عصاتي" فالأعاجم بطبيعتهم لا يعرفون العربية وأخذوا يتعلمون هذه الصناعة فانتشر الفساد اللغوي على نطاق واسع[57].

كما ظهر اللحن في الألسنة بتسكين أواخر الكلم هروبا من الإعراب[58] ، وبدأ يتسرب إلى القرآن الكريم وهذا ما حفّز أبو الأسود الدؤلي إلى وضع النحو ، خاصة بعد سماعه قارئا يقرأ القرآن في قوله تعالى ((**أَنّ اللهَ بَرِئ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ**)) [59] بالكسر فقال : حشا لله أن يبرأ من رسوله ، ما كنت أحسب أنّ أمر النّاس صار إلى هذا .

وقد زاد اللحن إلى درجة أنه ظهر على لسان ابنة أبي الأسود الدؤلي ، وهي التي نشأت في بيت الفصاحة وقصة قولها " ما أشد الحر " بضم الدال للاستفهام وهي تريد فتحها للتعجّب[60]. كما نشير أن هذه المؤشرات السابقة أدت إلى ظهور العامية التي تعد لغة التخاطب بين عامة الناس وكانت في أول ظهورها أقرب إلى الفصحى ، ثم أخذت تبتعد بالتدريج عمّا كانت عليه في أول الأمر ، ومن أهم مقومات هذه اللغة :

-اللحن في الألفاظ : وهو ما يتعلق بالنحو أي الخطأ في الإعراب ، وبنية الكلمة ، وكذا الخطأ في الأسماء وضبطها ضبطا صحيحا[61].

-تسكين أواخر الكلمة :آثروا تسكين أواخر الكلمة هروبا من إعرابها[62] .

-الاختصار في الجمل : وذلك بالقيام بعملية النحت مثل البسملة .

-دخول ألفاظ أعجمية في الاستعمال ، هذه الألفاظ المستعملة منقولة عن أصلها الأعجمي أو محرفة ، وقد دخلت من لغات أعجمية أخرى[63] .

ومن الخطوات التي أخذت من أجل المحافظة على اللغة العربية وتحصين القرآن الكريم من اللحن والخطأ ما يلي:

نقط الإعجام والإعراب

للحفاظ على لغة التنزيل رأى المسلمون حتمية صون القرآن الكريم من اللّحن وذلك بالضبط، فقام زياد بن أبيه وكان يومئذ واليا على العراق بالقيام بهذه المهمة ، فطلب من أبي الأسود الدؤلي ت69هـ، أن يعمل على ضبط القرآن الكريم ، فاعتذر أبو الأسود في أول الأمر لما كان بينه وبين زياد من خلاف، ثم وافق على القيام بما عهد إليه ، فوضع نقطه الإعرابي للقرآن الكريم متخذا لذلك كاتبا فطنا حاذقا من بني عبد القيس وقال له : " إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وأن ضممت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت شفتي فاجعل النقطة من تحت الحرف ، فإن اتبعت شيئا من ذلك غنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين وابتدأ أبو الأسود المصحف حتى أتى على آخره بينما كان الكاتب يضع النقط بصبغ تخالف لونه لون المداد الذي كتبت به الآيات[64]، وسمي هذا العمل رسم العربية.

وقد شارك تلاميذ أبي الأسود الدؤلي وهم نصر بن عاصم ، وعبد الرحمان بن هرمز ويحي بن يعمر وعنبسة الفيل وميمون الأقرع ، فهؤلاء نقطوا

المصحف و أخذ عنهم النقط وحفظ وضبط وقيّد وعمل به واتبع في سنتهم واقتدي فيه بمذاهبهم[65] .

وجاء في بعض المصادر أن يحي بن يعمر ت69هـ ونصر بن عاصم ت 89هـ هما أول من نقطا للناس بالبصرة وظهرت مشكلة جديدة للمسلمين خاصة من غير العرب متمثلة في عدم التمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم ذلك لأن السليقة لم تعد تسعف القارئ في التمييز بين الحروف المعجمة والمهملة فتكلف الحجاج بن يوسف الثقفي بهذه المهمة ، حيث طلب من نصر بن عاصم أن يعمل على حل هذا الإشكال[66]، فوضع نقطا جديدا على حروف المصحف لكي يميز بين الحروف المتشابهة في الرسم ، وسمي هذا العمل بنقط الإعجام، ومن خلال نقط أبي الأسود المسمى " النقط الإعرابي " والنقط الإعجامي المنسوب إلى نصر بن عاصم استطاع المسلمون أن يحصّنوا القرآن الكريم من اللحن والخطأ ،وبعد هذا جاء الخليل ت175هـ فطوّر نقط أبي الأسود ، وذلك بتغييره إلى علامات أكثر دقة ودلالة، حيث جعل للفتح ألفا ممالة فوق الحرف ، وللضم واوا صغيرة فوق الحرف وللكسر ياءا صغيرة تحت الحرف ، وللتشديد شينا صغيرة وللتخفيف خاءا صغيرة أيضا[67].

وقد نسب للخليل كتابا خاصا في النقط وعلله وأحكامه ، ووجدت كتب أخرى منها ما وصل إلينا ومنها من لم يصل إلينا ، وقيل أن النقط والشكل كانا معروفين لدى غير العرب من الساميين وغير الساميين فاللغة اليونانية القديمة عرفت الشكل في الحروف[68].

وضع النحو وضوابط العربية

في هذا الشأن يقول ابن سلام الجمحي ت232هـ :" كان أوّل من أسّس العربية وفتح بابها،وأنهج سبيلها ووضع قياسها ، أبو الأسود الدؤلي

...وكان رجل أهل البصرة ، وكان علويّ الرّأي ....وإنّما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب ، فغلبت السليقة ولم تكن نحوية ، فكان سراة النّاس يلحنون ، ووجوه النّاس ، ووضع باب الفاعل والمفعول به ، والمضاف ، وحروف الرّفع والنصب والجرّ والجزم"[69].

ولكن أبو الطيب اللغوي يصرّح بلفظ النحو في قوله :" واعلم أنّ ما اختل من كلام العرب، فأحوج إلى التعلّم الإعراب ، لأن اللّحن ظهر كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي –صلى الله عليه وسلم – فقد روينا أنّ رجلا لحن بحضرته فقال :" أرشدوا أخاكم فقد ضلّ"[70].

بعدما تبين لنا أسباب وضع النحو وهي واضحة ومنطقية إلى حد بعيد ، ولا تحتاج إلى تفصيل، ولكن السؤال المتضارب فيه هو : من أوّل من وضع النحو العربي ؟ فهناك من يرى أنه أبو الأسود الدؤلي ، وفريق آخر يرى أنه علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، وروايات أخرى ذكرت فيها أسماء أخرى. وفي هذا العنصر نورد روايتين على سبيل المثال لا الحصر تؤكد أول من له الفضل في وضع النحو العربي:

أوّلا :روى السيوطي أن أبا الأسود الدؤلي قال: " دخلت على علي بن أبي طالب فرأيته مطرقا متفكّرا فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنّي سمعت ببلدكم هذا لحنا، فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية فقلت : إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللغة ، ثم أتيته بعد ثلاث ، فألقى إليّ صحيفة فيها " بسم الله الرحمان الرحيم ، الكلام كلّه : اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل " ثم قال لي: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة :ظاهر ومضمر، وشيء ليس بظاهر ومضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا

مضمر ، قال أبو الأسود فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه ، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إنّ وأنّ وليت ولعلّ وكأن ، ولم أذكر" لكن " فقال لي: لم تركتها ؟ فقلت لم أحسبها منها فقال: بل هي منها فزدها فيها"[71].

ثانيا :يروى أن أبا الأسود الدؤلي دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له :" يا أبت ما أشدُّ الحرّ" رفعت " أشدّ "

فظنّها تسأله وتستفهم منه: أي زمان الحر أشد ؟ فقال لها : شهر ناجر ، يريد شهر صفر ، الجاهلية كانت تسمي شهور السنة بهذه الأسماء ، فقالت : يا أبت : إنما أخبرتك ولم أسألك ، فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال : يا أمير المؤمنين: ذهبت لغة العرب ، لمّا خالطت العجم ، وأوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحلّ ، فقال له : وما ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفا بدرهم ، وأملى عليه : الكلام كلّه لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، وهذا القول أوّل كتاب سيبويه ، ثم رسم أصول النحو كله فنقلها النحويون وفرّعوها"[72].

الرواية

يقصد بها جمع المادة اللغوية من أفواه العرب الفصحاء بالذهاب إليهم في بواديهم أو الالتقاء بهم في الحواضر وعلى هذا الأساس فإنها لم تبدأ قبل نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني ، وما يقصد به الرواية اللغوية، ما قام به أبي الأسود وتلاميذه من روّاد الدرس اللغوي ، وهناك دوافع شجّعت على الرواية منها التفسير اللغوي للقرآن الكريم، وكذلك ما كان يفعله ابن عباس عند تفسيره ألفاظ القرآن من استشهاد بالشعر[73]، وكذلك ما فعله عبد الله بن مسعود[74]، ووظفت الرواية اللغوية في تفسير الحديث ، فاعتبروا من اللغة متواترا وأجادا ومرسلا ومنقطعا وإفرادا، وكان الاعتزاز

باللغة وصيانتها من اللحن الدافع إلى توظيف الرواية ، كانت الحاجة العلمية لوضع الضوابط النحوية بعد أن أصبح الدرس اللغوي علما قائما بذاته .

وقد مرّ جمع اللغة بثلاث مراحل هي :

المرحلة الأولى : رحلة اللغويين إلى البادية وسماعهم للعرب وإقامتهم بينهم مدة معينة، ثم العودة إلى مواطن الدرس اللغوي في الحواضر لعرض المادة اللغوية التي جمعوها من الأعراب وإشاعتها في المجالس ، وتعد مدينة البصرة والكوفة مواطن الرواية وهما السباقتين إليها ، وبعد هجرة العلماء إلى بغداد استفادت هذه الأخيرة من تراث هؤلاء اللغويون الأوائل الذين رحلوا إلى البادية قصد جمع اللغة ومنهم : ابن أبي إسحاق الحضرمي ت117هـ وتلميذاه عيسى بن عمر ت149هـ، وأبو عمرو بن العلاء ت154هـ، والخليل ت175هـ ويونس 182هـ والكسائي 189هـ، والنضر بن شميل ت203هـ، و أبو عمرو الشيباني 206هـ والفرّاء 207هـ، وأبو زيد الأنصاري ت215هـ، وابن الأعرابي 231هـ ، ومن أهم القبائل التي جمعت منها اللغة هي تميم وقيس وأسد وطيء وهذيل .

المرحلة الثانية : هي رحلة معاكسة بحيث يقوم بها الأعراب الفصحاء بعد انتقالهم من البادية إلى الحضر ومواطن حلقات العلم، منها البصرة والكوفة وبغداد ، فأصبح هؤلاء يقصدون مجالس العلم وحلقات الدرس[75] حيث يقول الأصمعي ت213هـ:"جئت إلى عمرو بن أبي العلاء فقال لي : " من أين أقبلت يا أصمعي ؟ قلت : جئت من المربد،قال :هات ما معك :فقرأت عليه ما كتبته في ألواحي[76]. ويقول أبو عبيدة ت210هـ" قدم علينا رجال من بادية جعفر بن جعفر بن كلاب ،فكنّا نأتيهم فنكتب عنهم"[77].

وكان هناك تبادل بين رواة البصرة والكوفة فيما بينهم ، فمثلا المفضل الضبي كوفي أخذ عنه البصريون يقول أبن سلام الجمحي أنه " اعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة[78] المفضل أستاذ الكسائي ، وابن الأعرابي أستاذ ثعلب[79].

المرحلة الثالثة : تمثلت الرواية عن من روي عن الأعراب مباشرة ، وهذا ما توفر في أغلب تلاميذ أولئك الأوائل من الدارسين الذين رحلوا إلى البوادي وأخذوا عن أعراب المربد والكناسة في البصرة والكوفة.

ويمكن أن نجمل الأعمال التي قام بها هؤلاء اللغويين مع اختلاط الدراسات اللغوية مع بعضها البعض خاصة في اللغة والنحو والصرف ، وكانت بداياتها مع ابن عباس الذي عني بالغريب وبالشعر واستعان بهما في عمله في تفسير القرآن الكريم ، حتى ذكر له كتاب " غريب القرآن " .

– أبو الأسود الدؤلي: الذي نقط القرآن أكمل بإعجامه علي يد نصر بن عاصم ، وختمه الخليل بالشكل، كما كانت هناك حركة لغوية أخذت في النمو والتطور عمادها رواية اللغة مفردات واستعمالات وأساليب مستعينة برواية الشعر وقراءات القرآن ، ولهجات العرب .

–يحي بن يعمر: شارك نصر بن عاصم في إعجام حروف القرآن على بعض الروايات،وأخذ عن أبي الأسود نقط القرآن، وأضاف إلى الضوابط النحوية شيئا من بابي الفاعل والمفعول ، وقيل أنه أوّل من وضع النحو بعد أبي الأسود، وروي أنه أوّل من وضع العربية، يقول الزبيدي :" تعلّم عن أبي الأسود ثم يحي بن يعمر العدواني، وكان حليف بني ليث ، فصيحا عالما بالغريب"[80]، وقال يحي نفسه :" وإنما نفي فيما استتر من معاني الشعر وأشكل من غريبه"[81] .

وجاء دور عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو من الذين أكملوا ما جاء به أبو الأسود الدؤلي من وضع الضوابط النحوية حيث قيل : " كان أوّل من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل"[82]، وله في ذلك آراء ونظرات ولم يؤثر عنه كتاب في النحو، و لكنه وضع كتابا في الهمز يقول أبو الطيب اللغوي "فرّع عبد الله بن أبي إسحاق النحو، وقام وتكلّم في الهمز، حتى عمل فيه كتابا مما أملاه، والظاهر أنه يبحث في الهمز من ناحية علاقته بالقراءة، إذ هو من القراء، وله قراءة شاذة"[83].

-أبو عمرو بن العلاء : اشتهر بالقراءة ،ويعد من القراء السبعة ، وعني بالغريب واللغات والشعر والرواية يقول الجاحظ : " كان أعلم الناس بالغريب والعربية ، وبالقرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس، وهو إلى جانب ذلك من المعنيين بالنحو وله فيه آراء منقولة.

-أبو الخطاب الأخفش الكبير 157هـ له في اللغة والرواية والغريب، وقد أخذ عنه يونس وسيبويه اللغات.

-الخليل 175هـ تلميذ عيسى اهتم بالرواية والمشافهة ودرس اللغة، ووضع معجم العين واهتم بالنحو، وأنشأ علم العروض وبرع في القراءة ، وهو من وضع شكل القرآن بالحركات وله في التصريف آراء كثيرة.

-يونس 182هـ اشتهر باللغة والغريب، وألّف كتابا في اللغات، نقل عنه سيبويه في الكتاب شواهد لغوية كثيرة، اشتهر بالنحو وقيل فيه :"كانت ليونس مذاهب تفرد بها، فقد رويت عنه آراء نحوية خالف بها البصريين وخالفه فيها الكوفيون".

-أبو جعفر الرؤاسي 187هـ:درس النحو ودرّسه ووضع فيه كتاب " الفيصل " [84] .

-معاذ الهرّاء 190هـ : اهتم بالصرف أكثر اهتمامه باللغة والنحو، يرى السيوطي أنه واضع علم الصرف.

-سيبويه 180هـ :اشتهر بالنحو أكثر من اشتهاره باللغة والغريب والرواية والشعر والقراءة، فقد تضمن كتابه النحو واللغة والصرف.

-الكسائي 189هـ : اهتم بالقراءة فهو من القراء السبعة، وله كتاب في القراءات[85]، ومختصر النحو وهو رأس مدرسة الكوفة .

خلاصة البحث:

ممّا سبق يتبين لنا أن الدراسات اللغوية القديمة كانت قيمة ومفيدة للدراسات التي أتت بعدها، وخاصة الدراسات التي قامت بها الأمم الهندية والعربية ، وهذا من خلال الجهود التي قدّموها خاصة للدرس الصوتي والنحوي، وإلى حد الآن يعتمد على ما قدّمه هؤلاء القدماء، وما يلاحظ على هذه الدراسات منذ نشأتها في الأمم القديمة تعدد النظريات فتارة تعتمد على الفلسفة، فيكون العقل والمنطق أساس البحث والدراسة، وتارة أخرى تعتمد التجربة والملاحظة عماد البحث ووسيلته، فدراسة تطور اللغة عند هذه الأمم أمر لا بد منه وهو هدف علمي ثمين .

الهوامش والإحالات

1-أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط2،2005، بن عكنون، الجزائر ، ص01.

2-المرجع نفسه ،ص.2

3-المرجع نفسه ،ص2.

4-جورج مونان ، تاريخ علم اللغة في القرن العشرين،ترجمة بدر الدين القاسم ، جامعة دمشق ، ،ص39.

5-المرجع نفسه.

6-علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ص22.

7-المرجع نفسه .
8-علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص25.
9-المرجع نفسه ، ص26.
10-أحمد عزوز ،المدارس اللسانية ، أعلامها ، مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي ، دار آل الرضوان، وهران،ط2008،2 ، ص .26
11-أحمد مومن ، المرجع السابق ، ص.11
12-محمد محمود غالي ، أئمة النحاة في التاريخ ،دار الشروق ، جدة السعودية ،ط1976،1، ص89.
13- Chacravarti the linguistic speculations, of hindus ,1933 p10.
14- Chacravarti the linguistic speculations–page20-36.
15-المرجع نفسه ،ص15.
16-أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند الهنود ، عالم الكتب ،ط1982،4، ص 19.
17-ينظر : جورج مونان ، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها في القرن 20، ترجمة د.بدر الدين القاسم ، مطبعة دمشق ، 1972، ص162.
18 - le petit robert tome, sous la direction de Paul robert, p1362. paris 1973 .-
19-أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص33. 19
20- أحمد عزوز ،المرجع السابق ، ص30.
21-ينظر ، محمود السعران ، علم اللغة ،مقدمة إلى القارئ العربي ، دار الفكر العربي ،1999 ، ص362-363.
22-ينظر : زبير دراقي ، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص15.
23-ينظر : زبير دراقي ، المرجع نفسه ، ص15.
24-أحمد قدور ، مبادئ اللسانيات ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، ودار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط1999،2،ص37.
25- ينظر: محمد محمود غالي، المرجع السابق، ص94.
26-ينظر : أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ،ص12.
27-ميلكا إفيتش ،اتجاهات البحث اللساني ،ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد ، المجلس الأعلى للثقافة، المطبعة الأميرية ، مصر ،د ط ، ص66.
28-ميلكا إفيتشن المرجع السابق، ص36.

29-عبد الرحمان حاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، ص48.
30-أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص17.
31- عبد الرحمان حاج صالح ،المرجع السابق ، ص18.
32 Maurice leroy les grands courants de linguistique modernne
- bruxelles ,1971.page 3-13.
33- ينظر : ماريو باي ، أسس علم اللغة ، ترجمة وتعليق ،أحمد مختار عمر،عالم الكتب ،ط2،1982 ، ص227.
34-ينظر : كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة ، ص39.
35-ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص88.
36-ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ص41.
37-ينظر : أحمد مومن ، المرجع السابق ، ص26.
38-أحمد عتمان الأدب اللاتيني ودوره الحضاري ، ص155.
39-أحمد مومن ، المرجع السابق ، ص25. 39
40- المرجع نفسه ، ص28.
41-أحمد عزوز ، المرجع السابق ، ص67.
42-أحمد مومن ، المرجع السابق ، ص29.
43-1علم اللغة نشأته وتطوّره ، محمود جاد الرب ، ص 26.
44- تاريخ الخلفاء ، جلال الدين السيوطي ، ص 117.
45- دراسات في فقه اللغة ، صبحي صالح ، ص 55.
46- تاريخ اللغات السامية ، اسرائيل ولفنسون ، ص.206
47- لحن العوام ، الزبيدي، ص4.
48- الخصائص ، ابن جني ، ص 71/1.
49- التطور اللغوي التاريخي ، إبراهيم السامرائي، ص28.
50- مقدمة لأصول النحو العربي ، أحمد جلايلي ، ص71.
51- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، ص32.
52- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، ص34.
53- مغني اللبيب ، ابن هشام، ص.286
54- لحن العوام ، الزبيدي، ص4.
55- لمع الأدلة ، السيوطي ، ص26.
56- الأضداد ، الأنباري ، ص224.
57- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، ص37.
58- فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص132.
59- سورة التوبة ، الآية 3.

60- أخبار النحويين البصريين، السيرافي ، ص19.
61- البيان والتبيين ، الجاحظ ، ص161/1.
62- فقه اللغة ، ص133
63- البيان و التبيين ، ص141-144.
64- المحكم في نقط المصاحف ، ص6.
65- المحكم في نقط المصاحف ، ص3.
66- شرح ما يقع في التصحيف والتحريف ، الحسن بن سعيد العسكري ، ص10.
67- يراجع: المحكم في نقط المصاحف ، ص7.
68- يراجع : البحث اللغوي عند العرب ،أحمد مختار عمر، ص44.
69- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، ص 12/1.
70- مراتب النحويين ، أبو الطيب اللغوي ، ص19.
71- الأخبار المروية في سبب وضع علم العربية ، السيوطي ، ص34-36.
72- الأخبار المروية في سبب وضع علم العربية ، ص40-43.
73- يراجع:الجامع لأحكام القرآن ، ص 1/24.
74- يراجع : تفسير الطبري ، ص1/175.
75- الفهرست ، ابن النديم ، ص 70.
76- ذيل الأمالي والنوادر ، أبو علي القالي ، ص182.
77- جمهرة أشعار العرب ، ص31.
78- أنباه الرواة ، القفطي ، ص 2/55.
79- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ص 2/11.
80- طبقات النحويين واللغويين ، ص23.
81- أنباه الرواة ، ص2/107.
82- طبقات فحول الشعراء ، ص 14.
83- الفهرست ، ابن النديم، ص 33.
84- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، الأنباري ، ص54
85- الفهرست ، ص7.